

"نَجْنَا مِنَ الشَّرِّ" أَي الطَّلَبَةُ السَّابِعَةُ فِي الصَّلَاةِ الرَّبَّانِيَّةِ نأمل كتابي حول الإنقاذ من الشرِّ

مقدمة

إذا أردنا أن نقرأ الكتاب المقدّس وأن نفهمه، فيجب علينا قراءته من الداخل. هذا لأنّ الكتاب المقدّس مجموعة كتب لها معنى فقط عندما تتلى ضمن جماعة المؤمنين ولأنه دُونَ لتكون له سلطة ومرجعية على كل مَنْ قبله ككلمة الله الحقّة.

لذلك أعتقد بشدّة أن ما سنحلله هنا، لا يُفرض على السجين ك عقيدة ايمانية ولا تحت الشعار: الفرصة الوحيدة للخروج من جحيمك هي أن تتعرف على إيماني أنا. كما وأنّه علينا أن نمتنع عن رفع أي راية دينية أو طائفية بلهجة دعائية، لا من أجل المهاجمة ولا من أجل الدفاع. ماذا نفعل إذن؟ إنّي مقتنع بأن كل مسيحي يعرف الإنجيل قادرٌ وملتزمٌ أن يشهد بالكلمة وبالفعل عن محبة الله كما تعلمنا إنجيل يوحنا بأكمله حيث الشهادة هي موضوع أساسيّ وكما نقرأ في سفر رؤيا ٥: ١-٩:

"ومن يسوع المسيح الشاهد الأمين البكر من الأموات ورئيس ملوك الأرض. الذي أحبنا وقد غسلنا من خطايانا بدمه... أنا يوحنا أخوكم وشريككم في الضيقة وفي ملكوت يسوع المسيح وصبره كنت في الجزيرة التي تدعى بطمس من أجل كلمة الله ومن أجل شهادة يسوع المسيح."

قبل الولوج إلى موضوع بحثنا، أريد أن أشدّد على أهمية مفهوم الشهادة لأنها تقول:

- لا لفرض الأفكار،
- لا لتبشير مبنيّ على الدعاية،
- لا لإكراه الناس على مذهب ما،

¹ محاضرة أقيمت في الدورة التدريبية الثالثة حول "الخدمة الرعائية للمساكين" المنظمة من قبل مجلس كنائس الشرق الأوسط/ قسم الحياة والخدمة، بين ١٦-١٩ كانون الثاني ٢٠٠٣ في دير سيدة البير، جل الديب، لبنان.

لذلك أقول: نعم لشهادة حيوية بالإيمان.

لندخل الآن وعلى هذا الأساس إلى تأمل اليوم الكتابي حول الإنقاذ من الشر الذي له وجهين يتكاملان ولا يفترقان لأنه يهدف، من جهة، إلى تقوية المسؤولين كي يستطيعوا ويعرفوا كيفية متابعة عملهم في الأوقات الصعبة والمحبطة، كما وأنه يهدف، من جهة أخرى، إلى تقوية السجناء كي يستطيعوا ويتعلموا تحمّل أحكامهم بشجاعة وصبر.

اقترح منظمو هذه الدورة التدريبية التأمل في الطلبة الأخيرة للصلاة الربانية. والتأمل بهذا المقطع يتطلب منّا أولاً تذكّر المفهومين الجوهريين اللذين تشتقّ منهما طلبة الإنقاذ من الشر وهما توبة الإنسان التي تقابلها رحمة الله.

توبة الإنسان

فالمفهوم الأول والأهم هو التوبة (*metanoia*) في اليونانية، شُوب في العبرية، التي تأتي كالشرط الأساسي للمبادرة بالتكلم عن العلاقة مع الله. تفتح التوبة في الكتاب المقدس الطريق الذي به يوصل الله للبشر عدالته من أجل تجديد الإنسان وتقويته. ويشير أنبياء العهد القديم إلى ذلك بكلام مدهش وجميل نذكر منه هنا -على سبيل المثال- كلام هوشع:

"ارجع يا إسرائيل إلى الرب إلهك لأنك قد تعثرت بإثمك. ^٢أخذوا معكم كلاماً وارجعوا إلى الرب. قولوا له ارفع كل إثم واقبل حسناً فنقدم عجول شفاهنا. ^٣لا يخلصنا آشور. لا نركب على الخيل ولا نقول أيضاً لعمل أيدينا آلهتنا. إنه بك يرحم اليتيم" (هوشع ١٤ : ١-٣).

وكلام أرميا:

"أذهب ونادِ بهذه الكلمات نحو الشمال وقل ارجعي أيتها العاصية إسرائيل يقول الرب. لا أوقع غضبي بكم لأنني رؤوف يقول الرب. لا أحقد إلى الأبد. ^{١٣}اعرفي فقط إثمك أنك إلى الرب إلهك أذنبت وفرقت طرقك للغرباء تحت كل شجرة خضراء ولصوتي لم تسمعوا يقول الرب. ^{١٤}ارجعوا أيها البنون العصاة

يقول الرب لأنني سدت عليكم فأخذكم واحد من المدينة واثنين من العشيرة وآتي بكم إلى صهيون" (أرميا ٣ : ١٢-١٤).

وتؤكد بشارة العهد الجديد بغم يسوع المسيح وتلاميذه الرسل الدور المركزي الذي للتوبة في خلاص الإنسان :

"^٤وبعدما أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله.
^٥ويقول قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله. فتوبوا وآمنوا بالإنجيل." (مر ١ :
 ١٤-١٥)

"الآن أنا أفرح لا لأنكم حزنتم بل لأنكم حزنتم للتوبة. لأنكم حزنتم بحسب مشيئة الله لكي لا تتخسروا منا في شيء. لأن الحزن الذي بحسب مشيئة الله ينشئ توبة لخلاص بلا ندامة. وأما حزن العالم فينشئ موتاً" (٢كور ٧ : ٩-١).

"لا يتباطأ الرب عن وعده كما يحسب قوم التباطؤ لكنه يتأني علينا وهو لا يشاء أن يهلك أناس، بل أن يقبل الجميع إلى التوبة" (٢بط ٣ : ٩).
 "أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة؟" (رو ٢ : ٤).

فالتوبة هي نموذج يجب اتباعه بمعانٍ عديدة في العمل الرعائي للسجناء. ومن المقاطع التي تنطبق بأفضل شكل على هذا المثل هو نص متى ٩ : ١٠-١٣ :

"وبينما هو متكئ في البيت إذا عشّارون وخطاة كثيرون قد جاءوا واتكأوا مع يسوع وتلاميذه. فلما نظر الفريسيون قالوا لتلاميذه لماذا يأكل معلمكم مع العشارين والخطاة. فلما سمع يسوع قال لهم لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى. فاذهبوا وتعلموا ما هو. إنني أريد رحمة لا ذبيحة. لأنني لم آت لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة."

هنا نرى يسوع يقترب من عشارين وخطاة، أي من أناس لا أمل لهم بالخلاص حسب تفسير الفريسيين لشريعة موسى. ولكن متى يردّ على الموقف الفريسي ويبرّر تصرف يسوع هذا على أساس التعليم النبوي الذي يقول أنّ الله يفضل عمل الرحمة على حفظ الناموس بحرفيته وأن معرفة الله خيرٌ من كل المحرقات (هوشع ٦ : ٦) وفي المقطعين الموازيين لمتى ٩ : ١٠-١٣ يقدم يسوع نفسه طبيباً للمرضى لا للأصحاء (مرقس ٢ : ١٥-١٧ ؛ لو ٥ : ٢٩-٣٢).

الرحمة الإلهية

إن دعوة يسوع إلى التوبة مبنية على رحمة الله. وهنا ننتقل إلى المفهوم الثاني المرتبط مباشرةً بالإنقاذ من الشرّ لأنّ الرحمة الإلهية هي التي تحررنا من أعمال الشر. والله لا يقوم بعمله التحريريّ لأنه مجبر به ولا لأنه يسرّ به: الله يحرر الإنسان وينقذه فقط لأنه رحيم. وربما لوقاهو أوضح الإنجيليين في التعبير عن ذلك ولا سيما في العظة على السهل حيث يصف الله بـ "آب رحيم (لو ٦ : ٣٦). وكذلك القديس بولس يعلمنا هذا عندما يدعو الله أبا المراحم: "مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح أبو المراحم وإله كل تعزية" (٢ كو ١ : ٣).

إذن، الرحمة هي سبب كل الأعمال الخلاصية التي حققها الله من أجل البشر الذين يتألمون من تأثيرات الشر، وهذا يتبلور بوضوح في صرخة التائب "ارحمني يا الله حسب رحمتك، وحسب كثرة رأفتك امحْ معاصي" (مز ٥١ : ١). في هذا المزمور يظهر اللطف الإلهي لمن عانى ألم الشر والرحمة الإلهية تتراءى لمن يقرّ أنه مغمور بالخطايا. ولكن لا يجوز الاتكال على الرحمة الإلهية قبل قرار العودة إلى الله. فلغير التائب ولغير العائد الله ليس إلهاً رحيمًا بل قاضيًا عادلاً. وحده التائب الحقيقي يعي أن الله أحسن إليه وأنقذه بالرغم من أعماله الشريرة ويستنتج من هنا أنّ الله حقاً رحيم. بكلام آخر: لا يدرك الإنسان أبعاد الرحمة الإلهية إلا إذا اعترف بأن الله أنقذه من شروره في الماضي وقرّر العودة إلى حضن الآب ليبقى معه في سلام. هذا هو المنطق الذي يدفع ناظم المزمور ١٣٦ أن يكرّر اللازمة "لأن إلى الأبد رحمته" فيما هو يذكر تفاصيل ما صنع الله من أجل خلاص شعبه. في آخر المزمور نقرأ تفسيراً لهذا العمل الإلهي يدل إلى التفاعل القائم بين توبة الإنسان ورحمة الله:

”الذي في مذلتنا ذكرنا لأن إلى الأبد رحمته. ونجانا من أعدائنا لأن إلى الأبد رحمته“ (مز ١٣٦ : ٢٣-٢٤).

يتعرف الإنسان على الخير والصلاح بفضل علاقة جديدة مبنية على الرحمة الإلهية والتوبة. ونعرف من الإنجيل أن ”ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله“ (مر ١٠ : ١٨ ؛ لو ١٨ : ١٩ ؛ مت ١٩ : ١٧)، فإذن معرفة الله هي معرفة الخير والصلاح. وهذه المعرفة هي الخطوة الأولى للخروج من الشر الذي، حسب الإنجيل أيضاً، يعني كل ما يُبعد الإنسان عن مشيئة الله. فمشيئة الشر هي مشيئة أخرى تتعارض مع مشيئة الله وتنفصل عنها ولذا تدعى الـ *diabolos* أي المشيئة التي تبتعد عما يقود إلى الحق. وهذا التمايز بين المشيئتين، الحقيقية والكاذبة، ينعكس في الأسفار المقدسة مثل المزامير حيث يشار إليه بالصراع بين الأبرار والأشرار (مز ١، حك ٢). وفي حك ٢ : ١-٣ نقرأ عن الشؤم الذي يعيشه من يسلك حسب المشيئة المخالفة لمشيئة الله والذي يقوده إلى محاربة الأبرار حتى الموت (حك ٢ : ١٠-٢٠).

الإنقاذ من الشر

من مقولات سفر حكمة سليمان نفهم وجهين أساسيين من حياة المؤمن وكل من يحيى بمخافة الله. الأول هو أن الاعتراف بالخطيئة لا يكفيننا إذا تابعنا حياتنا كما كنا نعيشها قبل العودة إلى الله. والوجه الثاني هو أن التوبة لا تقي المؤمن من بؤس العالم وخطيئته. فهنا تكشف الطلبة السابعة في الصلاة الربانية معناها الأسمى. تتصاعد الطلبة ”نجنا من الشرير“ ككل طلبات الصلاة الربانية وهي تتجه إلى الملكوت. فهي صرخة الذين يسعون إلى الملكوت ويجتهدون من أجل الدخول إليه. نفهم أبعاد الـ *نجنا من الشرير* في ارتباطها بطلبات الخبز الجوهري، والغفران والابتعاد عن كل التجارب. فالصلاة الربانية التي تقع في وسط العظة على الجبل في إنجيل متى (متى ٦ : ٩-١٣)، هي كشف لقانون الملكوت الآتي. وتحتوي هذه الصلاة على ثلاث طلبات تقرّ بسلطة الآب وتتكلم عن السماويات، وعلى أربع طلبات حول حياة المؤمن في عالمه المخلوق. فهي تتألف مجملًا من سبع

طلبات والعدد سبعة يدلّ في الكتاب المقدس على الكمال الإلهي. لديكم الصلاة الربانية حسب هذا التقسيم:

“فصلوا انتم هكذا:

أبانا الذي في السموات.

١. ليتقدس اسمك.

٢. ليأت ملكوتك.

٣. لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض.

١. خبزنا الجوهريّ (كفافنا) أعطنا اليوم.

٢. واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا.

٣. ولا تدخلنا في تجربة.

٤. لكن نجنا من الشرير.” (مت ٦ : ٩-١٣)

أما بالنسبة إلى الطلبة السابعة، فثمة تعليقان تفسيريان:

● الفعل الذي يستعمله متى في ٦ : ١٣ للإشارة إلى الإنقاذ أو النجاة هو الفعل اليونانيّ *ryomai* الذي يرد في الترجمة السبعينية للعهد القديم للتعبير عن الفداء. والفداء في العهد القديم يعني أولاً إنقاذ شخص ينتمي إلى عشيرة وتعرض لهجوم من خارج عشيرته التي تحفظه وتعتني به لأنه غالٍ ومهمّ بالنسبة إليها. فباستعماله لهذا الفعل يشير متى إلى الله كالفادي (غوثيل في العبرية) الذي يتدخل من أجل استرجاع خاصته إليه (راجع اشعيا ٥٠ : ١-٢).

● أما العبارة الشر (poneron) في اليونانية ورعّ في العبرية) التي يستعملها هنا متى الإنجيلي في حالة الجر أي *genitive*، فلا يمكننا الجزم إذا كان جنسها القواعدي هو بالمحير أو بالمذكر. وهذه العبارة ترد ٢٦ مرة في إنجيل متى. وكما في الترجمة السبعينية كذلك في متى تعني التصرف الخاطئ والبعيد عن مشيئة الله. فالمصطلح “الشر” لا يكمن بالضرورة معنى الشخصنة للشر، بل يدلّ بالأحرى إلى ما يضايق ويطارد المؤمن. وفي جميع الأحوال، في استعمال أي من الأسلوبين الأدبيين، أعني الشخصنة والتجرد، فتبقى الفكرة

هي نفسها. فمتى يشير بهذه العبارة إلى كل عامل يأتي من خارج الملكوت يمكنه أن يجذب المؤمن بعيداً عنه (انظر مثلاً متى ١٣ : ٩ ، ٥ : ١١). فالشر يترصداً دائماً ونحن نطلب من الله أن يعيننا وينقذنا منه (انظر إلى جانب الصلاة الربانية : غلا ١ : ٤ ؛ أف ٦ : ١٣-١٦).

خاتمة

أرى في المفهوم الكتابي للإنقاذ من الشر مساهمةً مفيدةً جداً للعمل الرعائي في السجون. يدفعنا هذا المفهوم إلى الشهادة بأنّ دعوة الله للبشر هي للجميع دون استثناء ويتطلب منا أن نقضي ضروريات القريب المحتاج بالتزام عفوي ناتج عن كل مؤمن مسيحيّ يعرف نفسه في شركة مع كل البشر (انظر أع ٢ : ٤٤ ؛ ٤ : ٢٢). ثم يدعونا هذا المفهوم إلى تشجيع القريب على تغيير ذهنيته وعلى اكتشاف سبل الخير والصلاح، مؤكّدين أن الله يؤازر دائماً هؤلاء الذين يسلكون سبله. ولعلّ أهمّ ما تعلّمناه اليوم هو أن الكتاب المقدس بالرغم من تعدد نصوصه وأساليبها، يصور الله يطرق على باب قلب كل إنسان في وضعه الخاطيء، وهو مستعد دائماً لمرافقة كل من يفتح له.